يتيمة الدر في قرض الشعر

تــــألـــيـــف

العلامة القاضي سيــدي أحمد سكيرج
رحمــــه الله و رضي عنه

تحقيق
ذ: محمد الراضي كنون الحسني الإدريسي

رقم الإيداع القانوني	97/1326
ردمك	9981 - 153 - 02 - 8

مطبعة

المؤلف	محمد الراضي كنون
الهاتف	01 39 21 98
	07 65 14 00

بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم

يتيمة الدر في قرض الشعر[1]

حمدا لمن أسبغ نعمه الظاهرة و الباطنة على خلقه في السر و العلن. و تفضل بالزيادة لمن شكرها و أقرضه بالقرض الحسن.

من يقرض الله قرضا يقرض له و يوفـي
فهو الجواد بجـــــود عم الوجود بلطـف

لا رب لي سواه. و هو الله الذي لا إله إلا هو. المنزه عن الشريك و الأشباه.

و لله في كل تحريكـــة و تسكينة أبدا شاهـد
و في كل شيء له آيـة تدل على أنه الواحد[2]

[1] هي من عداد مؤلفاته غير التامة، باستثناء المنظومة التي في آخرها، و التي أطلق عليها اسم: الياقوتة المكنوزة، و هي منظومة فريدة من نوعها، مفيدة للغاية، تطرق فيها لشتى الأدوات والمواصفات التي يحتاجها الشاعر، بالإضافة لمتطلبات القصيدة و قواعدها، و ما يجوز فيها وما لا يجوز.
و قد سبق لهذه المنظومة أن نشرت بمجلة دعوة الحق المغربية، ضمن شهر يناير عام 1970م، العدد الثاني من السنة 13، و ذلك بعناية و تعليق من الأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ، المحافظ السابق لخزانة جامع القرويين بفاس.

[2] البيتان للشاعر العربي أبي العتاهية ضمن خمسة أبيات له من بحر المتقارب، ونصها:
ألا إننا كلنا بائـــــــد و أي بني آدم خالـــد
و بدؤهم كان من ربهم و كل إلى ربه عائـد
فيا عجبا كيف يعصـــى الإلــــــه أم كيف يجحده الجاحد
و لله في كل تحريكـــة علينا و تسكينة شاهد
و في كل شيء له آيـة تدل على أنه واحـــد

و نصلي على الرسول الذي أتاه الله الحكمة و فصل الخطاب. و اختصر له الكلام إختصارا يبهر الألباب، القائل: إن من الشعر لحكمة. و إن لمن البيان لسحرا[1]. المعجز بآياته الأوائل و الأواخر طرا.

النبي الأمي أكرم خلق الله فضلا و خاتم الأنبيـــــــاء
أحمد المصطفى الذي خصه الله بما لم ينله أهل العلاء

و على آله الذين لهم الشرف الباذخ. و المجد الشامخ.

أولي المجادة و السيادة و العلا	و الله طهرهم من الأنجـــاس
قوم هم الأعلون جل مقامهـــم	و هم السراة حقيقة في الناس

و على أصحابه الذين اتبعوه في منهاجه القويم و صراطه المستقيم.

أهل الهدى لمن اهتـــدى	فبهديهم هو مهتدي
حفظوا الرسول و شرعه	فلهم كمال السؤدد

و بعد فقد سألني بعض الأدباء الخائضين في بحر الأدب. و ينسلون إلى استخراج درره من كل حدب. أن أجعل تقييدا مختصرا على الأرجوزة التي سميتها الياقوتة المكنوزة. زيادة في إيضاح المقصود. فلم يسعني إلا مساعفته إغتناما لدعائه المحمود. و ها أنا ذا أكتب ما سنح بالبال. على حسب ما يقتضيه الحال. و إني أرجو من الله أن يكون الفتح منوطا لكل من أراد الإستعانة بها على جودة القريحة. ليجيد المدح في الجناب المحمدي و ما انضاف لذلك مما يرضي الله من الأمور المليحة. راجيا الدعاء بالمغفرة و الثواب الجزيل. و حسبنا الله و نعم الوكيل. و إني ألتمس

[1] أنظر مسند الشهاب القضاعي 2: 99 رقم 962، رقم 965.

العذر ممن وقف عليه من الأدباء أن يلحظوه مع المشروح بعين القبول. فإني قد نظمت المنظومة المذكورة من غير مراجعة الفن من أصله. و إنما جرت على حسب ما رسخ بالبال. لمن اقترح الدخول علي فيه ليعد من أهله. فأسعفته بما أمل لدي في فتح هذا الباب. فكانت بِنْتَ ارتجال مع هذا الإطناب. على أني إنما اكتفيت بالإشارة. و اللبيب لا يحتاج إلى بسط العبارة. غير أن مجال النظم أضيق من النثر. فلذلك بادرت بكتب ما يتضح به الأمر من غير تطويل في المقام و المقال. و ذلك كله على ما يخطر بالبال، فأقول: **بسم الله الرحمن الرحيم:** لا يخفى على من له بعض الإلمام بالعلم بأن البسملة يؤمر الشخص بالابتداء بها في كل أمر ذي بال. لما في ذلك من إعطاء ذلك الأمر حقه[1]. و استمداد كل مبتدأ بها في كل فن من بركتها ما استحقه. خصوصا إذا تحقق بأنه محتاج لما تنجبر به الأحوال. و أن الله هو الموصوف بالكمال. فكانت البسملة عنوانا على افتقاره للمعين. ولأن بركتها عائدة على المبتدي بها و تنسحب على الأمر المصدر بها فلا يعد ناقصا في المعنى. و ما لم يبتدأ بها فهو ناقص البركة و إن تم في الحس. و قد تكلم العلماء عليها و ألفوا فيها تآليف جمة. متنوعة الموضوع. و بسطوا القول عليها في كل فن مشروع. و لكونها برزخ العلوم. و تحار في الإطلاع على جميع ما انطوت عليه الفهوم. اقتضى مقام الإقتصار أن نحيل على مراجعة تلك التآليف من أراد فيها بسط الكلام. أما ما يناسب هذا الفن المنظوم فقد ذكرنا جملة منه في كتابنا منهل الورود الصافي. و الهدى من فتح الكافي، في علمي العروض والقوافي[2]، فلنكتف بما ذكرناه هناك ثم أقول:

حمدا لمن نعمه لا تحصى   و قرضها عن شاكريه يقصى

[1] إشارة لقوله صلى الله عليه و سلم: كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم أَقْطَعُ. إهـ.. أنظره في جامع الأحاديث و المراسيل (حرف الكاف مع اللام) 5: 430 رقم 15761، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (حرف الكاف) 2: 322 رقم 8695.

[2] من مؤلفات العلامة سكيرج، سبق التعريف به ضمن الجزء الأول من هذه الرسائل.

قد اشتمل البيت على تلميحات بديعية. منها تلميح و اقتباس من قوله سبحانه: و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها[1]: وكيف تحصى و المولى أعلمنا بأنها لا تحصى، و كل نعمة منه كما قال جل علاه: و ما بكم من نعمة فمن الله[2]. فوجب شكره عقلا و شرعا على كل نعمة. بل شكره مطلوب على كل حال. و قد أجاد محمود الوراق في قوله:

عطيته إذا أعطى ســــــرور — و إن أخذ الذي أعطى أثابــــا
فأي الحالتين أحق شكــــــرا — و أحمد عند منقلب إيابـــــــا
أنعمته التي أهدت ســــرورا — أم الأخرى التي أهدت ثوابــا
بل الأخرى و إن نزلت بكره — أحق بشكر من شكر احتسابا[3]

على أن الشكر نفسه نعمة ورحم الله القائل:

شكر الإله نعمـــــة — موجبة لشكـــــره
فكيف شكري بره — و شكره من بره[4]

غير أنه ورد ما يدل أن الشعور بالعجز على الوفاء بالشكر يوجب رضاء المشكور. فلهذا نشهد الله و رسوله وملائكته و سائر خلقه بأني عاجز مثل غيري عن الوفاء بشكره سبحانه و تعالى. ولا قدرة لي على استيفاء شكر نعمة الشكر فضلا عن

---

[1] سورة النحل، الآية 18
[2] سورة النحل، الآية 53
[3] الأبيات للشاعر العربي محمود بن حسن الوراق، و قد افتتحها ببيتين آخرين لم يذكرهما المؤلف، و نصهما:

و منتصح يكرر ذكرى نشوى — على عمد ليبعث لي اكتئابــــا
فقلت وعد ما كانت تســــاوي — سيحسب ذاك من خلق الحسابا

[4] البيتان للشاعر نفسه محمود بن حسن الوراق، و هما بيتان لا غير.

غيرها. متيقن بأني لا أحصي ثناء عليه. فهو كما أثنى على نفسه[1]. و منها الإشارة إلى تصديق ما وعد الله به من قوله سبحانه: لئن شكرتم لأزيدنكم[2]. و لا أقل من الزيادة من إبقاء النعمة و عدم قرضها و قطعها عن الشاكر. وهو معنى عجز البيت. و في الحكم العطائية: من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها، و من شكرها فقد قيدها بعقالها[3]. و قد نطق القلم هنا فقال:

شكر الإله موجـــــب   زيادة من النعـم
و الشكر عنوان على   سلامة من النقم

و منها براعة الإستهلال. فإن المنظومة قد جعلت في القرض. و هو في اللغة القطع. و إقصاء قرض النعم و هو عدم قطعها عن الشاكر يشعر بأن المنظومة في هذا الفن المعبر عنه بالقرض. والقريض الشعر. و قد تذكرت هنا بيتين للولي الصالح سيدي العربي بن السائح[4] رضي الله عنه يشير بهما لقوله تعالى: إن تقرضوا الله قرضا حسنا[5] و هما قوله:

إن رمت نظم القريض اقرض الله   حقا ينلك المزيا فهو مولاها[6]

و قد ذكرنا هذه النبذة مساعدة للقلم. و قد أراد البسط في هذا الموضوع فحبسناه عن الركض في هذا الميدان. و هو يتلعثم حتى لا نخرج عن المقصود فنقول:

---

[1] إشارة لقوله صلى الله عليه و سلم في دعائه: اللهم أعوذ برضاك من سخطك، و بمعافاتك من عقوبتك، و أعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. إهـ.. صحيح مسلم (كتاب الصلاة) باب ما يقال في الركوع.
[2] سورة إبراهيم، الآية 7
[3] أنظر الحكم العطائية الكبرى رقم 64.
[4] سبق التعريف به ضمن الجزء الأول من هذه الرسائل
[5] سورة التغابن، الآية 17
[6] البيت للعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، و بعده بيت آخر لم يذكره المؤلف و هو:

كم أنعم ليس يحصي العقل أصغرها   أسدى إلى الصادق المولى و أولاها

ثم على رسوله الصلاة و الأل و الصحب لهم صِلات

من المطلوب في حق المفتقر أن يبحث عن طريق توصله للكرماء لينال من فضلهم. فيتحبب إليهم و إلى أهلهم بكل ما يرضيهم جهد الإمكان. و لا أحد أكرم من مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم. و نحن أفقر المحتاجين لما أولاه المولى من الفضل الذي لا يصل منه لمخلوق مدد إلا على يديه. و لا و سيلة يتقرب بها العبد إليه أحسن من الصلاة عليه صلى الله عليه و سلم، فلذلك أرشدنا المولى إليها فقال جل من قائل: يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليما. و أرشدنا صلى الله عليه و سلم بالوعد المنوط بالثواب الذي لو تفطن له الموفق لاستكثر منه في كل وقت. وجعله ذريعة لا يلحظ المتذرع بها بعين المقت. و ذلك قوله صلى الله عليه و سلم: من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا[1]. قال ابن عطاء الله رضي الله عنه: إذا صلى الله على عبده صلاة واحدة كفاه هم دنياه و آخرته، فكيف بمن صلى عليه عشرا، و قد صدق رضي الله عنه في ذلك. فبهذه المثابة كانت الصلاة على مولانا رسول الله صلى الله عليه و سلم أعظم القربات التي يتقرب بها العبد إلى مولاه. سيما من نفسه لا تقوى على المحافظة على شروط التقوى. و لقد أجاد الإمام البوصيري في داليته حيث يقول:

و تزود التقوى فإن لم تستطـع	فمن الصلاة على النبي محمد
صلى عليه الله إن صلاة مـن	صلى عليه ذخيرة لم تنفـــد[2]

[1] إشارة للحديث الذي رواه الإمام مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص، أنه سمع النبي صلى الله عليه و سلم يقول: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول. ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، و أرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة. إهـ.. صحيح مسلم (كتاب الصلاة) باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه رقم 800.

[2] البيتان للشيخ العارف بالله سيدي محمد بن سعيد البوصيري، من قصيدته الدالية التي يفتتحها بقوله:

كتب المشيب بأبيض في أســـود	بغضاء ما بيني و بين الخـــــرد
خجلت عيون الحور حين وصفتها	وصف المشيب و قلن لي لا تبعد

و لاغتنام هذه الغنيمة الكبرى طلبنا من الله أن يصلي عليه صلى الله عليه و سلم. وفوضنا الأمر إليه في مجازاته عنا بما هو أهله. فإننا لا نفي بشكره. و لو ملأنا الكون ثناء عليه و أملينا فيه إملاء تنفذ دونه البحور مدادا و النبات أقلاما. و لكن التمسنا الصلاة عليه من مولانا لفظا و كتابة في هذا المقام. تعرضا للفوز بما قاله عليه السلام: من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام إسمي في ذلك الكتاب[1]. و مثل الكتاب النظم. لأن الكتاب بمعنى المكتوب. و هو مكتوب مع التماس ما هو موعود به المصلى عليه صلى الله عليه و سلم بما ورد من الأحاديث في ثواب ذلك. و لما كانت الصلاة التامة هي التي يصلي فيها على آله صلى الله عليه و سلم أدمجنا الصلاة عليهم امتثالا لقوله صلى الله عليه و سلم: إياكم و الصلاة البتراء[2]؟ قالوا و ما هي يا رسول الله. قال: أن تصلوا علي دون أهلي. و إلى هذا يشير الإمام الشافعي رضي الله عنه بقوله:

يا آل بيت رسول الله حبكـم	فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم المجد أنكم	من لم يصل عليكم لا صلاة له[3]

و الصلاة عليهم و الدعاء لهم فيه تعرض لرضاهم على المصلى عليهم. كما أن الصلاة على أصحابه الكرام تدل على سلامة صدر المصلي عليهم من بغض مطلق

---

[1] رواه الطبراني في الأوسط، و ابن أبي شيبة، و المستغفري في الدعوات بسند ضعيف، كما ذكره العجلوني في كتابه كشف الخفاء 2: 338 رقم 2518.

[2] بتراء: يعني ناقصة، ذات خلل كبير، و قد ذكر الله تعالى هذا اللفظ في معرض الذم للكافر أبي جهل الذي كان من أشد الأعداء لرسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال: إن شانئك هو الأبتر.

[3] للعلامة الصالح سيدي محمد أكنسوس تخميس لهذين البيتين، لا بأس أن نذكره في هذا المحل إتماما للفائدة، و هو:

يا سادة يا شموس الأرض نوركـم	عم الوجود فإن الله ودكـم
ها عبدكم قد براه الشوق ناداكـم	يا أهل بيت رسول الله حبكم

فرض من الله في القرءان أنزله

أنتم يا سماء العلى و الناس أرضكم	ما نالهم مطر إلا سحابكـم
حباكم ربنا بالفخر خصكـم	يكفيكم من عظيم الفخر أنكم

من لم يصل عليكم لا صلاة له

الصحابة. فضلا عن بغض بعض خاصتهم عياذا بالله منه. و من الأهواء المفضية إليه. و لا شك أن إظهار السني لمذهبه فيه براءة ذمته من مذاهب أهل الضلال. من خوارج وروافض و نحوهم من أصحاب الأهواء المضلة. فنسأل المولى أن يتوفانا على طريقة أهل السنة غير ضالين و لا مضلين. و لا يخفى ما في الصلاة و صلات من الجناس، فإن الأول إسم مصدر. و المصدر الأصلي تصلية. ومنه قول الشاعر:

تركت القيان و عزف القيان   و ألزمت تصلية و ابتهالا[1]

و بهذا البيت استشهد من جواز إطلاق التصلية بالمعنى المقصود من الصلاة. خلافا لمن منعها في الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم[2]. لكونها بمعنى الحرق. كما في قوله تعالى: وتصلية[3]. و شنع في ذلك غاية التشنيع. و لم يقف على أن ذلك من

---

[1] البيت للصحابي الجليل ضرار بن الأزور الأسدي رضي الله عنه، من أبيات ثلاثة قالها بين يدي رسول الله صلى الله عليه و سلم و هي:

خلعت العزاف و ضرب القيا   ن و الخمر و تصلية و ابتهالا
وَ كَرِّي المُحَبَّرَ في غمـــرةٍ   و شدي على المسلمين القتـالا
فيا رب لا أغبنــن بيعتـــــي   فقد بعت أهلي و مالي ابتـذالا

و لدى إتمامه لهذه الأبيات قال له النبي صلى الله عليه و سلم: ما غُبِنَتْ صَفَقَتُكَ يَا ضِرَارُ، و في رواية: رَبِحَ البَيْعُ رَبِحَ البَيْعُ. إهـ.. المستدرك للحاكم النيسابوري (كتاب معرفة الأصحاب) 3: 264 رقم 5091 و 3: 719 رقم 6657. مجمع الزوائد للهيثمي (كتاب الأدب) باب جواز الشعر و الإستماع له 8: 233 رقم 13339 (كتاب علامات النبوة) باب ما جاء في ضرار بن الأزور الأسدي 9: 651 رقم 16063.

[2] قال العلامة ابن عاشور في تفسيره المسمى بالتحرير و التنوير: و مصدر صلى قياسه التصلية. و هو قليل الورود في كلامهم. و زعم الجوهري أنه لا يقال صلى تصلية. و تبعه الفيروزابادي. والحق أنه ورد بقلة في نقل ثعلب في أماليه. إهـ.. تفسير التحرير و التنوير، للعلامة الطاهر ابن عاشور، سورة البقرة الآية 3، عند قوله تعالى: الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة و مما رزقناهم ينفقون.

و قال العلامة نفسه عند تفسيره لسورة الأحزاب: إن الصلاة غلب إطلاقها على معنى الإسم دون المصدر، و قياس المصدر التصلية، و لم يستعمل في الكلامم، لأنه اشتهر في الإحراق، قال تعالى: حميم و تصلية جحيم، سورة الواقعة، الآية 94، على أن الأمر بالصلاة عليه قد حصل تأكيده بالمعنى، لا بالتأكيد الإصطلاحي، فإن التمهيد له بقوله: إن الله و ملائكته يصلون على النبي، مشير إلى التحريض على الإقتداء بشأن الله و ملائكته. إهـ... تفسير التحرير و التنوير، للعلامة الطاهر ابن عاشور، سورة الأحزاب الآية 1، قوله تعالى يا أيها النبي اتق الله و لا تطع الكافرين و المنافقين، إن الله كان عليما حكيما.

[3] المراد به قوله تعالى: و تصلية جحيم، سورة الواقعة الآية 94.

إطلاقات اللغة. على أن الصلاة قد وجدت بمعنى الإحراق. فلزمه ما فر منه إن لم يقل بجواز إطلاق التصلية على المعنى المقصود بالصلاة للعلة المذكورة. مع أن المدار على القصد في استعمال الألفاظ اللغوية فيما بين العبد و مولاه. و قد ساعدت القلم في الإفصاح عن هذه النكتة هنا مع الإحجاف. و إن كانت تحتاج لطول البسط. مع أن المقصود الاختصار ما أمكن. و لكن لا بأس بذلك لمن يقتنص شوارد الفوائد. و أما الثاني فهو جمع صلة.

يقول إن من كان عروضيا مطلعا على فن العروض و خاض في الشعر فإنه يجب عليه وجوبا أدبيا أن يعرف فن القرض. لأنه به يتوصل لمعرفة جيده من رديه. وتحصل له القدرة على إنشائه و استعماله. و يمكن قلب معنى البيت لنكتة. و ذلك أن يقال: إن من يريد قول الشعر ونظمه يجب عليه قراءة فن العروض. لأن الشعر لا يأتي على الأسلوب العربي إلا بإتقان هذا الفن، فبهذا كان المتعين على القارض معرفة العروض. و يتأكد في حقه حتى يزن ما يقوله بقسطاسه. فأفرغ الحث على علم العروض في قالب القلب. ليتفطن له طالب فن القرض و أنه لا يحمل به جهله.

بسم الله الرحمن الرحيم   و صلى الله على سيدنا محمد و على آله وصحبه و سلم

حمدا لمن نعمه لا تحصـــــــى   و قرضها عن شاكريه يقصـــــى
ثم على رسوله الصــــــــلاة   و الآل و الصحب لهم صــــلات
و بعد فالقرض على العروضي   إن خاض في الشعر من الفروض
و قد نظمت هذه الأرجـــوزة   في فنه ياقوتة مكنـــــــــــوزة
و اسأل الفتح من الله العلـــي   لمن دعا لي بقبول العمـــــــل

القرض وحده

علم به يعرف نقض الشعر   و قدره في قيمه وَ سِعْـــرِ[1]
و سبكه في قالب النضـــار   سبكا يروق لذوي الأنظار

ما يطلب من مريد النظم ارتكابه و اجتنابه

لا بد للذي يريد النــــــــظما   أن يقفو العروض فيه حتمـــــا
و أن يراعي القواعد التـــــي   قد حررت في النحو بعد اللغـــة
و صاحب القريحة الوقـــــاده   إن لم يراع ذاك بالإجـــــــادة
يعد نظمه للاختـــــــــــلال   في وزنه في حيز الإهمـــــال
فزنة العروض في إتقانــــــه   و زينة القريض في ميزانــــــه
و عندهم مما يعين الشاعــــــر   في القرض حفظ در شعر باهـــر
من شعر من مضى من الأعـراب   و غيرهم و الخوض فــي الأداب
و يستعان بفراغ البــــــــال   عليه قبل وقت الإستعمـــــــال
لذاك قيل وقته الأسحــــــــار   لأن فيها تكمل الأوطــــــــار
و إن على النفس قسا تلفيقـــــه   فكل شيء عندهم طريقــــــــه
ما بين أغصان و ساقي الكـــاس   مع الغنى به يلين القاســــــي

[1] علم القرض: قيل في التعريف به أنه علم باحث عن أحوال الكلمات الشعرية، لا من حيث الوزن و القافية، بل من حيث حسنها و قبحها، من حيث أنها شعر، و حاصله تتبع أحوال خاصة بالشعر، من حيث الحسن و القبح و الجواز و الامتناع و ما إلى ذلك، و غرضه تحصيل ملكة إيراد الشعر على تلك الأحوال الخاصة، و غايته الاحتراز عن الخطأ في ذلك الإيراد.

و عندهم يبدل الوقـــــــت إذا ... لم يجد الشاعر فيه المأخــــــذا
لأنه في بعضها يخـــــــــور ... و ربما في بعضها يفـــــــور
لذاك قد أكد حمل المحبـــــــرة ... في حق من يريد أن يحـــــرره
إذ ربما بلباله بالبـــــــــال ... يخطر ثم ينقضي في الحـــــال
و كلما استحضر بيتا يعجبـــــه ... و لو مع اختلاف بحر يكتبــــه
و ليتبع القريحة المجيـــــــدة ... و لو برفض غالب القصيـــدة
فربما ينقاد قرض الشعـــــــر ... في أبحر من بعد خوض بحـــر
و ليجمع الأبيات مما نظمـــــا ... لدى المناسبة جمعا محكمــــا
و ليتأنق في التخلص و فـــــي ... براعة لكل ما به يفـــــــي
و استحسن التصريع في القصائد ... في مطلع و في سواه زائــــد
و ربما استحسن في انتقـــــال ... من كل قصة مع الكمـــــال
و استحسن الجناس كلما ظهـــر ... دون تكلف و ما المعنى استتــر
و ليرع في مقاله المقامــــــا ... و ليزن الكلام و النظامــــا
و إن حسنه مع التلميـــــــح ... وجودة التصريح و التلويـــح
و هو يدل ببديع نكتـــــــه ... و الاقتباسات على فتوتـــه
فليتحفظ من أمور تفضـــــي ... به لما يعد غير مــــرضـي
فليحترز مما يكون سببــــا ... لأن يرى يوما به ملقبـــــا
و ليتفطن للذي ينطـــــق بـه ... فرب لفظ عاقه عن طلبــــه
و ربما أخذ بالقول الــــــذي ... يقوله و لم يجد من منقـــــذ
و ينبغي ارتكاب ما معنـــــاه ... يفهم بالتعريب في مبنـــــاه
و ترك وحشي اللغات في النظـام ... لأجل أن يفهم مقصود الكــلام
و مثله ترك تنافر الكلـــــم ... مع غرابة و تعقيد علـــــم
لأنه يخل بالفصاحـــــــه ... و تنمحي عنه به الملاحـــه
و القرض في وقت الشباب يحسن ... و ذو المشيب الغزل منه يخشـن
و ليحذر الخائض من ولـــوع ... به يكون تارك المشـــروع

فإن فيه لوعة موجـــــــــوده	تشغل عن فضيلة محمـــــوده
و الشعر يغلو سعره بقـــــــدر	ما فيه من مخترعات الفكــــر
و استقبحوا مدح الفتى لشعـــره	إلا لمقصد يرى في نشـــــره
كحالة الهجاء و الثنـــــــاء	في حالة القرب أو التنائـــــي
و ليتحر القصد في المديـــــح	ما لم يك الغلو بالصحيـــــح
فإن في الزيادة النقصانـــــا	ما لم يكن في محلها قد بانـــا
و المدح بالتجريب أولى كالهجـا	خوفا من الوقوع في خيب الرجا
و ليجتنب في الهجو سبا يســري	لغير مهجو من أهل القـــــدر
و مذهبي ترك الهجاء مطلقـــا[1]	لا سيما في آل بيت ارتقــــى
فإن بالنطق البلا موكـــــــل	و ليس عذر في الهجاء يقبـــل
و أعذب الشعر لديهم أكذبـــه[2]	لكن تحري الصدق جاء مطلبـه
و تكره السرقة المعلومـــــه	و قيل مطلقا ترى مذمومـــه
و من بطرق الإنتحال سلكـــا	فلا يزال شعره مشتركـــــا
و بالإجازة النظام يجلـــــو	و للمسامع شداه يحلـــــو
و بالبواعث يروق معنــــــى	و بالتعشق يفوق مبنـــــى

[1] لعله يشير بذلك إلى قول أحد الشعراء:

لسانك لا تبدي به سوءة امرئ	فكلك سوءات و للناس ألســــن
و عينك إن أهدت إليك معايبـا	من الناس قل يا عين للناس أعين

[2] ملحوظة: الشعر العربي في حد ذاته لا يحث على الكذب، بل يمقته أي مقت، حتى في فترة ما قبل الإسلام، بيد أن هناك عبارة شاعت عن العرب حول أعذب الشعر، فقالوا: أعذب الشعر أكذبه، و المقصود في ذلك ليس الكذب بعينه، و الصحيح أن مرادهم بهذه المقولة المشهورة هو الشعر الذي يبدو من قراءته لأول وهلة أنه كذب، و لكن يتحدث عن حقيقة واقعة، مستخدمًا فيها بعض ألوان البلاغة، مثل الإستعارات و التشبيهات التي أبدعها خيال الشاعر، بحيث إنك إذا أخذت بمعناها الحرفي تقول عنها كذب، و إذا أخذت بمعناها الضمني المراد التعبير عنه وجدت الصدق بعينه، و لكن أحاسيس الشاعر الجياشة و إبداعه الشعري صورته بهذه الصورة، و لنأخذ مثلا على ذلك قول الشاعر أبي الطيب المتنبي حين يقول:

الخيل و الليل و البيداء تعرفني   و الضرب و الطعن و القرطاس و القلم

فلو نظرنا لمعنى البيت الحرفي لوجدنا أنه يكذب، فلا الخيل و البيداء و لا كل الأشياء المذكورة تعرف المتنبي، لأنها بعضها جماد أصم، و بعضها لا يعقل، و إنما قوله الخيل تعرفني أي أنه يكثر ركوبها، و هي من دلائل الفروسية عند العرب، و بالنسبة للبيداء أو الصحراء قصد أنه كثير الترحال من خلالها. و قصد من الضرب و الطعن أنه رجل مقدام في الحرب، و في المواقف التي تقتضي مواجهة شجاعة، و عنى بمعرفة القلم و القرطاس له بأنه رجل يكتب الشعر.

لأن بالعشق الطباع تصقـــل   و تورث البليد فهما يجمـــل
لا سيما إن هيج القلب الجـــوى   أو قرب الوصال أو طال النـوى
و ليجتنب في المزح و اللهو و ما   أشبه ذلك اقتباسا علمـــا
و ترك معنى متكرر علـــم   كترك علة قبيحة حتـــم
كمثل إيطاء و اقواء و مـــا   يعاب في جميع ما قد نظمـــا
و استقبح الردف بواو مع يـــا   و نحوه وإن لديهم رويـــا
و الإنسجام في جميع النظـــم   سحر حلال عند أهل الفهـــم

كيفية النظم و ترتيبه

سطر تجاه سطرك القوافـــي   لأجل أن تختار منها الوافـــي
لتأخذ القافية المناسبـــه   لنظمك الذي تؤدي واجبـــه
ولا تكلف نفسك السير علـــى   وثيرة في نظمك الذي انجلـــى
بل اقتطفه كيفما تأتـــى   لك و لا ترده بيتا بيتـــا
و بعد ترتب القصيـــده   و هذه طريقة مفيـــده
و بعضهم ينظم ما يستحضـــره   شيئا فشيئا بعدما يسطـــره
يجعله كالصورة المشخصـــة   و يسبك المعنى بما قد خصصه
و استحسنوا التشبيب و التغـزلا   صدر القصيده في مديح يجتلى
و ليتحرى القصد في القصيد فـي   تغزل و هو بالنصف وفـــي
و ليرع في النسيب ممدوح النظام   فرب قول لا يناسب المقـــام
و ليرع في تخاطب الغوانـــي   ما لم يعب من جهة المعانـــي
كذكره بأنه ينـــام   و يدعي العشق فلا يـــلام
و ليتلطف في تخاطب الحبيـــب   و ليكثر الزجر للاح و رقيـــب
و ليبدأ المطلع بالفأل الحســـن   في المدح و الهنا بأبدع لســـان
وفي الرثاء يحسن الوعظ بمـــا   تتعظ النفس به إن نظمـــا
و يحسن التاريخ في التهانـــي   و في التقاريض لدى المبانـــي
و يختم القصيد بالدعـــاء   أو بالذي دَل على انتهـــاء